



MARRAKECH

جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines

مجلة العلوم الإنسانية

خفاف

مجلة علمية محكمة



العدد السابع - 2022

ضفاف

مجلة علمية محكمة

العدد السابع - 2022

مجلة فصلية علمية ومحكمة تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بجامعة القاضي عياض - مراكش - المغرب

المدير : عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

عبد الرحيم بنعلي

المنسق العام : جمال راشق

اللجنة العلمية

السيدات والسادة الأساتذة:

GRAVARI BARBAS Maria, IREST, Université Paris 1 Panthéon-Sorbonne, France, ELLOUMI Mohamed, INRAT, Tunisie, LAOUNA Abdellah, CERGéo, Université Mohamed V Rabat, DEARBIEUX Bernard, Université de Genève, Suisse, NAVARRO PALAZON Julio, Escuela de Estudios Arabes des Granada, CSIC, Espagne, SKOUNTI Ahmed, Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, GIRAUT Frédéric, Département de Géographie, Université de Genève, Suisse, HERNANDEZ ARMENTEROS Salvador, Universidad de Granada, Espagne, BOUBRIK Rahal, Département de Sociologie, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Mohamed V de Rabat, TOZY Mohamed, UMRIP et Sciences po, Aix en Provence, France, PULVAR Olivier, Université Antilles-Guyane, Centre de Recherche sur les Pouvoirs Locaux dans la Caraïbe - CNRS UMR 8053, HILLALI Mimoun, Institut Supérieur International de Tourisme, Tanger, Maroc, PERALDI Michel, directeur de recherche au CNRS et Centre Jacques Berque pour le développement des Sciences Sociales à Rabat (Maroc), BOUMAZA Nadir, Université Pierre MENDES France- Grenoble 2, LANDEL Pierre - Antoine, CERMOSM, UJF, Mirabel - France, PECQUEUR Bernard, Institut de Géographie Alpine, PACTE (UMR CNRS 5194 - Université J. Fourier, Grenoble - France).

لجنة التحرير

السيدات والسادة الأساتذة

عبد الرحيم بنعلي - جمال راشق

سعيد بوجروف - محمد موهوب

عناوين التواصل

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صندوق بريد 3737

أمرشيش - 40000 مراكش - المغرب

الهاتف : 00212524302742 الفاكس : 00212524302039

البريد الإلكتروني : revueflm@gmail.com الموقع : http://www.flm.uca.ma.ac

الإيداع القانوني : 2018PE0010

ردمك : 2605-6410

لوحة الغلاف للفنان ماحي بنين

التصنيف والإخراج الفني : صباح القصير

تعبر المقالات عن آراء أصحابها فقط

مجلة العلوم الإنسانية

ضفاف

مجلة علمية محكمة

شروط النشر

- مجلة ضفاف مجلة علمية محكمة تعنى بنشر الأبحاث والأعمال التي تدخل في مجال العلوم الإنسانية.
- مجلة فصلية.
- تنشر المجلة مقالات ودراسات وأبحاثاً أصيلة لم يسبق نشرها ولا تقديمها للنشر.
- تخضع الأعمال المقترحة للنشر لشروط البحث العلمي المتعارف عليها من حيث التوثيق وذكر المصادر والمراجع المعتمدة.
- تعبر الأبحاث المنشورة بالمجلة عن آراء أصحابها.
- تقدم الأبحاث في نسخة مطبوعة ونسخة إلكترونية.
- تلتزم المقالات بالمعايير التقنية للنشر بالمجلة، فتكتب المقالات العربية بخط 14 Sakkal majalla والمقالات بالحرف اللاتيني بخط 11 Times New Roman.
- تكتب الهوامش أسفل الصفحة بخط 10 Times New Roman.
- ينبغي ألا تزيد صفحات البحث عن 20 صفحة.
- يذكر الباحث اسمه واسم بنية البحث والجامعة-المؤسسة التي ينتمي إليها في الصفحة الأولى.
- يقدم الباحث ملخصاً لبحثه مستقلاً عن المقال.
- يكتب ملخصاً للبحث بلغة غير اللغة التي كتب بها.
- تخضع المقالات والبحوث المقدمة للمجلة للتحكيم، ويلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يقترحها المحكمون في أجل أقصاه 15 يوماً بعد توصله بها.
- تحتفظ المجلة بحقوقها في عدم نشر أي بحث لا يستجيب لشروطها.
- لا ترد الأبحاث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- تحتفظ المجلة بحقوق التأليف وإعادة النشر الورقي أو الإلكتروني للمقالات المنشورة بها.
- المقالات المقدمة للنشر لا يجب أن تنتهك حقوق مؤلفين أو ملكية أطراف آخرين.

مجلة العلوم الإنسانية

ضفاف

مجلة علمية محكمة

العدد السابع - 2022

إصدار كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة القاضي عياض - مراكش - المغرب

شكر

تتقدم هيئة تحرير مجلة "ضفاف" للعلوم الإنسانية
بخالص تشكراتها لكل من ساهم في إغناء هذا العدد،
كما توجه شكرها الجزيل للأستاذة الأجلاء الذين لم
يتراءوا في قراءة المقالات وتقييمها وتحكيمها.

هيئة التحرير

فهرس المحتويات

- 9..... تدبير تراث الأركان بمنطقة حاحا ورهانات التثمين
هلال عبد المجيد ولالة حسناء المراني
- 33..... مسألة المنهج بين التبسيط والتعقيد في فكر إدغار موران
يوسف التيبس
- 53..... الفترة الحفيفية بالمغرب (1908-1912) من خلال الشعر الملحون
توفيق القبائي
- 75..... اليهود العرب: اللغة والشعر والتميز (مقال مترجم)
فاطمة سحام
- 93..... البعد النقدي في الخطاب الصوفي ابن عربي نموذا
محمد أعراب
- الحرية بين الأمر والتكليف في الفضاء العمومي من خلال كتاب: فلسفة الفعل،
115..... دراسة تأويلية نصية
أحمد الفرخان
- 131..... سؤال العلية والمعلولية في فلسفة صدر الدين الشيرازي
عبد المالك بنعتو
- السلوك الوقائي في مواجهة التهديدات والمخاطر الصحية بين الإقناع العاطفي
والعقلاني - جائحة كورونا نموذا-.....
157..... محمد الركيبي

في فكر إدغار موران

The question of method between simplification and complexity In the thought of Edgar Morin

يوسف التيبس

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرّاز، جامعة محمد بن عبد الله، فاس

youssef.tibesse@usmba.ac.ma

Abstract

Edgar Morin, passionate about all disciplines, rejects the conception of traditional thought of compartmentalized, mutilated and partitioned knowledge. He aims through his major work *The Method* (6 volumes) to reconcile (complexify) the different disciplines in a complex whole by using an adequate method, known as the complex method. His method brings together and connects the natural sciences, the humanities, sociology, anthropology and philosophy. It thus tends to forge a complex paradigm. The Complex Method is neither against-method nor a-method, nor is it the elaboration of theoretical principles which lead reason towards an absolute truth, but a method which invents its instruments while walking, and spawns its path to understand the complexity of reality and knowledge. It is based on the principles: "dialogic", "recursive" and "hologrammatic". It is a method that connects the disjoint, recomposes the decomposed and embraces the random, the abnormal, the subject and the complicated. All of this, aims to develop critical thinking capable of criticizing itself, and thus envisioning a **newer new scientific mind**.

Key words: Method, complexity, paradigm, reduction, simplification, dialogic, order, disorder, organization, system, theory.

Résumé

Edgar Morin, passionné par toutes les disciplines, refuse la conception de la pensée traditionnelle d'un savoir compartimenté, mutilé et cloisonné. Il vise à travers son œuvre majeure *La Méthode* (6 tomes) à réconcilier (complexifier) les différentes connaissances dans un tout complexe en utilisant une méthode adéquate, dite méthode complexe. Sa méthode fait dialoguer et relier les sciences naturelles, les sciences humaines, la sociologie, l'anthropologie et la philosophie. Elle tend ainsi à forger un paradigme complexe. La Méthode complexe n'est ni anti-méthode ni a-méthode, elle n'est pas non plus l'élaboration de principes théoriques qui conduisent la raison vers une vérité absolue, mais une méthode qui invente ses instruments en marchant, et fraye son chemin pour appréhender la complexité du réel et du savoir. Elle est basée sur les principes : « dialogique », « récursif » et « hologrammatique ». C'est une méthode qui relie le disjoint, recompose le décomposé et embrasse

l'aléatoire, l'anormal, le sujet et le compliqué. Tout cela pour l'élaboration d'une pensée critique capable de se critiquer elle-même, et envisager ainsi un nouvel esprit scientifique.

Mots clés: Méthode, complexité, paradigme, réduction, simplification, dialogique, ordre, désordre, organisation, système, théorie.

ملخص

يرفض إدغار موران، الشغوف بجميع التخصصات، تصور الفكر التقليدي للمعرفة المجزأة والمشوهة والمفككة. لذا حاول من خلال عمله الرئيس : المنهج (La Méthode 6 أجزاء) تركيب (تعقيد) الحقول المعرفية المختلفة في كل مُعقّد معتمدا منهاجا مناسباً، يُعرف باسم المنهج المُعقّد الذي يجمع ويربط بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفلسفة. وبالتالي ينشئ بتشكّل باراديغم التعقيد. لا يعتبر منهج التعقيد ضد المنهج أو لا-منهج، ولا هو صياغة لمبادئ نظرية تقود العقل نحو الحقيقة المطلقة، بل منهاجا يبتكر أدواته خلال اشتغاله، ويشق طريقه نحو فهم تعقيد الواقع والمعرفة. يقوم منهج التعقيد على مبادئ: "التحاور" و"التكرار" و"الهولوجرام". إنه باختصار، منهج يربط المنفصل، ويعيد تركيب المفكك، ويقبل العشوائية والشذوذ والذات والمُعقّد. كل ذلك من أجل تنمية فكر نقدي قادر على نقد نفسه، وبالتالي تصور عقل علمي جديد-جديد.

الكلمات المفتاح: منهج، تعقيد، باراديغم، اختزال، تبسيط، تحاور، نظام، لا نظام، تنظيم، نسق، نظرية.

مقدمة

يعد إدغار موران¹ (Edgar Morin) من المفكرين والفلاسفة المعاصرين القلائل الذين يجمعون بين صفة الأنثروبولوجي وعالم الاجتماع والفيلسوف. إضافة إلى كون مشروعه (نظرية التعقيد) يجمع بين هذه العلوم وغيرها. مكنته هذه الإمكانيات من دراسة مواضيع عديدة ومتنوعة كالموت والسينما وتحولات المجتمعين الفرنسي والروسي وحياة الأفكار، بل تحول إلى متنبئ بمستقبل سياسة الحضارة الإنسانية.

¹ مدير أبحاث متقاعد بالمركز الوطني للأبحاث العلمية، دكتور شرفي بعشرين جامعة في العالم، ترجمت أعماله إلى سبعة وعشرين لغة في اثنين وأربعين بلدا، تمارس أعماله تأثيرا قويا على التفكير المعاصر، خاصة في دول البحر الأبيض المتوسط وأمريكا اللاتينية، وقد بلغ هذا التأثير الصين وكوريا واليابان. يمثل **المنهج** (المكوّن من ستة أجزاء) عمله الرئيس حيث يواجه صعوبة التفكير في تعقيد الواقع.

ورغم هذا التنوع الموسوعي يمكن أن نعتبر منهج التعقيد (La Méthode complexe) هو الوحدة البسيطة الكامنة في كتاباته.¹ إنه منهج لتناول المعارف وليس لإنتاج المعارف كما هو حال المناهج العلمية، يقول إ. موران: «إن هدف بحث المنهج ليس هو إيجاد مبدأ يوحد جميع المعارف، بل الإشارة إلى انبثاق فكر معقد، لا يختزل إلى العلم أو الفلسفة، بل يسمح بتوصلهما عن طريق تفعيل حلقات الحوار». هكذا يدخل تصور إ. موران لمنهج التعقيد ضمن تصوره لفكر أو إبستمولوجيا التعقيد.

يدل مفهوم التعقيد الذي نجد صيغته الأولى في كتاب العلم الواعي² (1982) على شكل من أشكال الفكر الذي يقبل تقاطع كل مجال من مجالات الفكر وتعدد التخصصات. يؤخذ مصطلح التعقيد بمعناه الاشتقائي "complexus/complecti" "معقد" الذي يعني "شمل" و"نسج معا" في تشابك وحياقة (plexus). إنه محاولة للكشف عن نسيج المعرفة الإنسانية.

«ما زلنا زائغين عن مشكلة التعقيد. تمر الخلافات المعرفية بين بوبر (Popper)، كون (Kuhn)، لاكاتوس (Lakatos)، فايرابند (Feyerabend)، وغيرهم، في صمت. لكن هذا الزيف جزء من همجيتنا. إنه يجعلنا نفهم أننا لا نزال في عصر الأفكار الهمجية. لا نزال في عصور ما قبل تاريخ العقل الإنساني. وحده الفكر المعقد يسمح لنا بتحضير معرفتنا»³. يرى إ. موران أن الإنسانية تعيش حقبة ما قبل التاريخ، أي عصر الهمجية، فإذا لم تتبنى فكرا معقدا في جميع المجالات، فإنها ستسير نحو الهاوية. وعليه يمكن الحديث عن فكر معقد مُعمَّم⁴ على جميع المجالات المعرفية والإنسانية يمثل، بالنسبة إلى إ. موران، نموذجا يتطلب الجمع بين مبدأ التمييز ومبدأ الوصل بين الأجزاء والكل، أي محاولة فهم العلاقات بين الكل والأجزاء. غير أن معرفة الأجزاء لا تكفي لمعرفة الكل، إذ يجب أن نتحرك في حلقة

¹ Jean-François Dortier, « Une pensée hors norme », Le magazine Sciences humaines, Edgar Morin : *L'aventure d'une pensée*, Hors-série n°18 - mai/juin 2013, p. 7.

² E. Morin, *Science avec conscience*, Seuil, 1982.

³ Edgar Morin, *Introduction à la pensée complexe*, Paris, Editions du Seuil, 2005, p.24.

⁴ E. Morin, «Complexité restreinte, complexité générale», in J.-L. Le Moigne et E. Morin, *Intelligence de la complexité, Épistémologie et Pragmatique*, La Tour d'Aigues, L'Aube, 2007, p. 28-50.

للجمع بين معرفة الكل وأجزائه. وبالتالي، نستبدل بمبدأ الاختزال مبدأ ينطوي على علاقة التضمين المتبادل بين الكل والأجزاء.

«ينبغي أن نعوض مبدأ الفصل، التفريق (بين الأشياء، بين التخصصات، بين المفاهيم، بين ذات وموضوع المعرفة)، بمبدأ يحافظ على التمييز، لكنه يحاول تأسيس العلاقة». و«ينبغي أن نستعيض عن مبدأ الحتمية المعممة، بمبدأ يتصور وجود علاقة بين النظام والانظام والتنظيم، على اعتبار أن النظام لا يعني القوانين فقط، بل الثبات والانتظام والدورات المنظمة أيضا، وأن الانظام لا يعني التشتت والتفكك فقط، بل يمكن أن يكون ارتباطات واصطدامات ولا انتظامات أيضا».

يرى إ. موران أننا تعلمنا الانفصال وقدرتنا على الربط ضعيفة، والحال أن المعرفة بالضرورة فصل ووصل وربط في الوقت نفسه في جميع المجالات وبينها. يتطلب التفكير في التعقيد تفكيراً معقداً يستعيد السياق والتفاعلات وردود الأفعال الرجعية خلال دراسة موضوع بعينه. ويحتاج فكر التعقيد المعمم إلى ثورة إبستمولوجية وباراديغمية. يتعلق التعقيد بجميع المجالات التي نشارك فيها "كإنسان وكفرد وكشخص وكمواطن".

هكذا يعارض موران باراديغم الفكر الكلاسيكي الذي دشنه ديكرت، والذي يقوم على الفصل بين الروح والمادة، وبين الفلسفة والعلوم، وبين الجسد والروح. ويدعو إلى الاستعاضة عنه بباراديغم التعقيد الذي يحافظ على فعل التمييز ويضيف إليه فعل الربط باعتباره تلازماً.

يتأسس فكر التعقيد لإدغار موران على مفهومي: "الحلقة (Boucle)" و"التحاور (Dialogique)"، إنهما مفهومان متداخلان ويحدثان في جميع المجالات. تكون الحيوانات، من خلال التكاثر الجنسي، منتجات ومنتجات من أجل استمرار الأنواع. ويوجد داخل كل فرد تحاور بين ما هو فردي وظاهري وما هو نوع وتكاثر. من الضروري ربط الموضوع بالذات والموضوع ببيئته، لأن الموضوع ليس شيئاً خاملاً، بل نسقاً يتمتع بالتنظيم. كما يجب على النظرية أن تأخذ في الحسبان عدم اليقين والتناقض. بعبارة أخرى، من الضروري احترام "تعدد أبعاد" الكائنات والأشياء. وعلى هذا النحو تصبح المعرفة معرفة للمعرفة، ويصبح العلم واعياً. إن فكر التعقيد عابر للتخصصات وفي الوقت نفسه نظرة فوقية لذاته،

فيكون دائما بشكل مضاعف¹. إن هذه الرغبة في تعميم فكر التعقيد هي التي دفعت إ. موران إلى الاهتمام بالتربية والتعليم لأنهما الوسيطتان الأساسيتان في إشاعة ونشر هذا الفكر².

يستخدم إدغار موران مصطلح "الربط (reliance)" للدلالة على الحاجة إلى ربط ما تم تفريقه أو فصله أو تجزئته أو تفصيله أو تجزيئه أو تقسيمه أو تصنيفه إلى فئات أو مدارس فكرية وغيرها. إنه فكر ينظر إلى الأشياء في تآلف من التآلف والتكامل والتنافس والتعاون الديناميكي الوثيق. ولهذا الغرض يعرض سبعة مبادئ توجيهية لفكر الربط، متكافلة ومتكاملة³.

1. مبدأ نَسقي أو تنظيمي (Le principe systémique ou organisationnel). تعارض الفكرة النَسقية الفكرة الاختزالية لأن "الكل أكبر من مجموع الأجزاء". تنبثق صفات أو خصائص جديدة في كل تنظيم جديد لا تتصف بها مكوناته. وبذلك يكون "الكل أقل من مجموع الأجزاء" أيضا لأن تنظيم الكل يكبح صفات معينة للمكونات من الظهور.

2. مبدأ الهولوغرام (Le principe hologrammatique). تكون كل خلية جزءا من الكل – الجهاز العضوي الكلي - ويكون الكل في حد ذاته ضمن الجزء، إذ يوجد مجمل التراث الوراثي في كل خلية على حدة؛ ويوجد المجتمع في كل فرد مواطن من خلال لغته وثقافته ومعاييره ...

3. مبدأ الحلقة بأثر رجعي (Le principe de boucle rétroactive). ومفاده أن العلاقة بين السبب والنتيجة ارتدادية إذ "تؤثر النتيجة في السبب" مما يؤدي إلى عكس عملية السببية الخطية المفتوحة ف"يؤثر السبب في النتيجة". كما هو الحال في نظام

¹ تجدر الإشارة إلى أن أغلب عناوين كتاب المنهج: طبيعة الطبيعة، حياة الحياة، معرفة المعرفة، إنسانية الإنسانية، تصاغ بشكل مضاعف، مما يدل على فعلين، أولا، إعمال منهج التعقيد في مسار البحث، وثانيا، استحضار فكر التعقيد أثناء هذا الإعمال؛ وإذا لم يكن قد استعمل هذه الصيغة في كتابي الأفكار (ج. 4) والأخلاق (ج. 5) فيرجع ذلك في نظرنا إلى أن الأفكار كان في الأصل جزءا من الجزء الثالث (معرفة المعرفة) كما أخبرني موران في مقدمته لترجمتي العربية للجزئين الثالث والرابع؛ أما كتاب الأخلاق فيعتبر جزءا من الجزء الخامس ونتيجة وباكورة ما توصل إليه في المنهج برمته.

² انظر كتابه:

La tête bien faite. Repenser la réforme, réformer la pensée, 1999; *Relier les connaissances*, 1999; *Les Sept Savoirs nécessaires à l'éducation du futur*, 2000.

³ E. xF, *La Tête bien faite. Repenser la réforme. Réformer la pensée*, Paris, Seuil, 1999, p. 106-111.

التدفئة الذاتي حيث تنظم "الترموستات" عملية التدفئة، وفي توازن الأجهزة العضوية للكائنات الحية.

4. مبدأ الحلقة التكرارية (Le principe de boucle réursive). إنها حلقة إنتاجية تكون فيها المنتجات والنتائج نفسها مُنتجة وأسباب لما يُنتجها. يكون كل كائن حي نتاجا ومنتجا في نظام التكاثر، وينتج الأفراد المجتمع من خلال تفاعلاتهم وبواسطتها، كما ينتج كل مجتمع ناشئ إنسانية الأفراد من خلال إكسابهم اللغة والثقافة.

5. مبدأ الاستقلالية/التبعية (التنظيم البيئي الذاتي)

Le principe d'autonomie/dépendance (auto-éco-organisation) :

إن الكائنات الحية عبارة عن أنظمة ذاتية التنظيم تقوم دائما بالإنتاج الذاتي، وبالتالي تستهلك الطاقة للمحافظة على استقلاليتها، وتستمد هذه الطاقة من بيئتها، طاقة تعتمد عليها لتكون مستقلة.

6. مبدأ التحوار (Le principe dialogique). يوحد فكرتين يفترض أن تستبعدان بعضهما البعض، واللذان لا يمكن فصلهما في الواقع. وجد تحاور "النظام/اللانظام/التنظيم" منذ نشأة الكون بين الجزيئات الفيزيائية (تحوار الموجة والجزيء)، ويوجد تحاور (الفرد / المجتمع / الأنواع) في كل إنسان.

7. مبدأ إعادة إدخال الذات العارفة في كل معرفة. إذ يشمل كل كائن-آلة، وكل عملية موضوعية مبتكرة، "الذات" التي يتصورها. تكون المعرفة، سواء في الإدراك أو النظرية العلمية، إعادة بناء/ترجمة للعقل/الدماغ في ثقافة وزمن معينين. هكذا «تعد النزعة الإنسانية قادرة على تحمل الإرادة المتعجرفة في السيطرة على الكون، بل أصبحت أساسا إرادة التضامن بين الناس، مما يعني وجود علاقة حميمة مع الطبيعة والكون».

يقر إ. موران في مقدمة كتابه محاضرات في الجماليات أن هذا الكتاب كان يفترض أن يمثل الجزء السابع من كتاب المنهج، ولنتبين هذه العلاقة والترابط نقدم في ما يلي أهم مضامين الأجزاء الستة السابقة عليه:

يشكل كتاب المنهج أساس فكر التعقيد لدى إ. موران، الذي يتطابق مع عنوانه إذ يتسم بطابع منهجي عملي. إلا أنه لا يروم بلوغ الحقيقة أو الكشف عنها لأنه يعتبر

الحقيقة المطلقة أسطورة. وعليه، يقتصر المنهج حسب موران على إيجاد الأدوات الفكرية (المفاهيم) التي تسعفنا في فهم جوهر العلوم المعاصرة ونسبية المعرفة وتأخذ في الحسبان مفاهيم عدم اليقين وعدم الاكتمال ونظرية المعرفة. إنه منهج يصل بين الجبهويات العلمية، بلغة ميشيل سير، ويسائل الروابط الخفية والمنسية التي تربطها، يقول في ذلك: «ما يهمني هو ما يوجد في الفجوة بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية وما يوجد في ثقب الخطاب»¹. كل ذلك من أجل وصل المفاصل، ورتق المفتوق، وهو ما أنجزه فعلا في كتاب المنهج بأجزائه الستة إذ ربط بين مجالات معرفية ظلت مفصولة في الفكر التقليدي مثل الفيزياء والبيولوجيا وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والسياسة والمنطق...

شكل كتاب الباراديغم المفقود² اللبنة الأولى لكتاب المنهج الذي يعتبر منهجا للعثور على هذا الإنسان المفقود بسبب تجزيته وتفتيته من قبل العلوم الإنسانية. إنهما بمعية كتابي العلم الواعي ومدخل إلى فكر التعقيد عرض للأدوات الضرورية لفهم تعقيد الوضع الإنساني، أي التمثيل بين الذات والموضوع في المعرفة، وبين الأبعاد البيولوجية والاجتماعية والأنثروبولوجية والثقافية والاقتصادية والنفسية التي تتفاعل وتتكامل وتتكامل في كل ظاهرة إنسانية، والتي تتلخص في تفاعل ظاهري الانبثاق والتنظيم الذاتي لجميع مكوناته وأبعاده. تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن مصطلح الانبثاق يشكل محور كتاب المنهج بجميع أجزائه.

(1) طبيعة الطبيعة: يتناول في هذا الجزء الأول المخصص للفيزياء مشكل تنظيم الكون (النظام المعقد) الذي يتضمن النظام والانظام. يرى إ. موران أن التناقض بين باراديغمي العلمين التقليدي والمعاصر يرجع بالأساس إلى تصورهما لمفهوم النظام والانظام (الحتمية والنسبية)، لذا وجب إعادة النظر إلى العالم باعتباره يجمع بينهما لأن الكون ينتظم وهو يتفكك. ولتفسير العلاقة بين هذين المفهومين يستعين بمفهوم التحاور، فيقرر، خلافا للجدليين، أن «جدل النظام والانظام يقع في مستوى الظواهر، أما التحاور فيحدث في مستوى المبدأ». وبذلك يناقض التحاور الجدل من حيث إنه يرفض فكرة تجاوز التناقض إلى التركيب. إنه وحدة تكافلية بين باراديغمين يتقابلان ويحتاجان إلى بعضهما البعض. هكذا لا يهتم إ. موران بالواقع، بل يأسس تمثلاتنا للواقع، أي الباراديغمات

¹ E. Morin, *Journal d'un livre*, Inter Éditions, Paris, 1981.

² E. Morin, *Le paradigme perdu : la nature humaine*, Editions du Seuil, Paris, 1973.

والأنساق التي تُبْنِي طريقة تفكيرنا¹. يتصور موران النسق (الحياة، المجتمع، المادة) بشكل كلياني (holistique)، أي باعتباره نتيجة تفاعل بين أجزائه التي تتغير عندما تتم فصل من أجل خلق الكل الذي يسمح بانبثاق خصائص جديدة لم تكن سابقة على تشكل الكل ولا يمكن ردها إلى الأجزاء المنعزلة. أطلق على هذه الخصائص الجديدة مصطلح "الانبثاقات". في المقابل، يفترض كل اتحاد لعناصر إكراهات تنقص من أجزائه، وعليه، لا يكون الكل أبدا كلاً، إنه إما أقل أو أكثر من مجموع الأجزاء. فإذا أضفنا مفهوم التنظيم إلى النسق، صار الكائن عموماً حالة تنظيم حرجية يتم فيها التوتر بين القوى المتضادة، أي توتر الكائن ذاته. هذه القوى المتضادة والمتناقضة من قبيل الخلق/الهدم، النظام/اللانظام، الواقع/المتخيل التي يوحدتها التحاور هي التي تغذي وتحرك مؤلفاته.

(2) حياة الحياة: لا يسعى إ. موران في هذا الجزء الثاني حل لغز الحياة، بل تناول الخاصة البيولوجية للتنظيم الحي، أي تقديم الأدوات المفهومية لتناوله من منظور جديد. وليتم له ذلك يستحضر المبادئ النظرية لتنظيم النسق التي عرضها في الجزء السابق معملاً إياها من خلال مفهوم أساسي هو: "النظام البيئي". ينتج هذا الأخير عن اتحاد الوسط ومجموعة من العلاقات بين الكائنات الحية. يتصف النظام البيئي بتنوع أنواعه دون أن يهدد هذا التنوع وحدته لأن تكامل النظام يتغذى من علاقات التمايز والتنازعات. تسري هذه القاعدة على الأنظمة البيئية وعلى قواعد الانبثاقات والإكراهات. يؤدي النزاع بين الانبثاقات والإكراهات إلى التكيف الذي لا يؤدي قواعده إلى تكون ملكات جديدة (مثل الحيلة والذكاء والاستراتيجية والتضامن والصراع والتفاهم...)، بل إلى خضوع كل الكائنات الحية لحتمية تنظيمية تُخضع وجودها للنسق البيئي. ويعد الموت مكوناً أساسياً للنسق البيئي.

يختلف تنظيم الكائنات الحية عن تنظيم الكائنات الفيزيائية، إذ يخضع الأول للطفرة، يعبر موران عن هذه الخاصية بلفظ الذات، أو الذاتي "autos"، أي التفرد داخل النسق البيئي. وبذلك فالحياة تنظيم بيئي وتنظيم ذاتي. يعتمد كل الأفراد (الكائنات الحية) على نظام بيئي خاص يرتبط بنظام بيئي عام (الأرض)، ويتمتعون بتنظيم ذاتي خاص، مما

¹ Louisa Yousfi, « De la nature comme système », in *Le magazine Sciences humaines*, Edgar Morin : *L'aventure d'une pensée*, Hors-série n°18 - mai/juin 2013, p. 31.

يجعل الحياة تنظيماً بيئياً ذاتياً (auto-eco-organisation)، إنه تنظيم منغلق على ذاته (ذاتي) ومنفتح على تنوع المحيط (البيئي). هكذا يتبين اختلاف إ. موران مع التصورين التبسيطين للتنظيم الحي: التصور الوراثي والتصور البيئي.

ينظم كل كائن حي ذاتياً من خلال التقابل والتفاعل مع الأنظمة البيئية، ويقوم منطلق الذاتي على المناعة، أي استبعاد ما لا يمكن إدماجه (عزل الغريب والخاص)، وتسمى عملية العزل هذه الاحتمساب (computation). مما يعني أن كل الكائنات الحية تحتسب، وعليه يعتبر هذا الاستعداد المعرفي أصل خلق "الكائن الذاتي"؛ وحيث إن الاحتمساب يصرف دائماً بصيغة ضمير المتكلم: "أحتسب (computo)، في مقابل كوجيطو (cogito) لديكارت"، فمعناه أن الذاتي (أنا) (je) خاصية بيولوجية وليست إنسانية فقط، بل أحد الباراديجمات الأساسية في فكر التعقيد.¹

(3) معرفة المعرفة²: يقدم موران مطلب هذا الكتاب قائلاً: «يمكن أن نأكل دون معرفة بقوانين الهضم، وأن نتنفس دون معرفة بقوانين التنفس، ويمكن أن نفكر دون معرفة بقوانين أو طبيعة الفكر، ويمكن أن نعرف من غير أن نعرف المعرفة. لكن في الوقت الذي نشعر مباشرة بالاختناق في التنفس والتسمم في الهضم، يتميز الخطأ والوهم بعدم ظهورهما كخطأ أو وهم»³. وعليه يهتم هذا الجزء الثالث من المنهج بتكوين المعرفة من وجهة نظر بيولوجية أنثروبولوجية بدلا من النظرة الإبيستيمولوجية الصرفة، وينظم شكلا وفق أسئلة مستفادة من نظرية المعرفة مستعملا أدوات من مجالات مختلفة كالمنطق والعقل والكونية والحقيقة والفلسفة والعلوم، الخ، من أجل تطوير أسس نظرية المعرفة المعقدة (معرفة المعرفة التي تمكننا من اكتشاف مصادر أخطائنا وأوهامنا). يتسم هذا التناول لتعقيد ظاهرة المعرفة بكونه "متعدد الأبعاد". تتصف المعرفة، في نظر إ. موران، بصفتين في الوقت ذاته، إذ تحوز الكفاءة (القدرة على إنتاج المعرفة)، وتنتج عن الأنشطة السابقة عليها. هكذا ترتبط كل المعرفة التي ننتجها بـ "عمليات طاقة، كهربائية، كيميائية،

¹ Louisa Yousfi, «La vie : entre ordre et chaos», In *Le magazine Sciences Humaines*, Edgar Morin : *L'aventure d'une pensée*, Hors-série n°18 - mai/juin 2013, p. 33.

² انظر ترجمتنا للجزئين الثالث والرابع من **المنهج**: إدغار موران، **المنهج**، الجزءان الثالث والرابع، ترجمة: يوسف تيبس، دار إفريقيا الشرق، 2013.

³ E. Morin, *La Méthode 3, La Connaissance de la connaissance*, t. 3, Le Seuil, coll. « Points », Paris, 1986, Nouvelle édition, 1992, p. 9.

فسيولوجية، دماغية، وجودية، نفسية، ثقافية، لغوية، منطقية، مثالية، فردية، جماعية، شخصية، عبر شخصية وغير شخصية، والتي تتشابك فيما بينها. لذا يُنظر إلى المعرفة كظاهرة "متعددة الأبعاد" لأنها تنطوي على أبعاد فزيائية وبيولوجية ونفسية واجتماعية وأنثروبولوجية...

يقر إدغار موران بأن تنظيم معرفتنا في الوقت الحالي مفكك ومجزأ إلى تخصصات منفصلة. إن الفصل بين الفلسفة والعلوم سبب رئيسي في الازدواجيات (من قبيل ازدواجية العقل-الدماغ)، امتد هذا الانفصال إلى الفصل بين مجالات العلوم الطبيعية (الفيزيائية/البيولوجية) والعلوم الإنسانية (اللغويات وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا). لقد أدى هذا التجزئ إلى عقم علاقة المعارف المترابطة وإلى كبح إمكانية قيام معرفة المعرفة، وبالتالي إلى ما أسماه جورج غوسدورف (Georges Gusdorf) "المعرفة المعلولة". يعرض موران في مقدمة الكتاب الغرض منه: إنه «النظر، من هذه الإنجازات والمشاكل التي يضعها، في إمكانيات وحدود المعرفة الإنسانية»¹.

(4) الأفكار: يفحص إدغار موران في هذا الجزء الرابع عالم الأفكار أو المجال الفكري (Noosphère)، ذلك أن الأفكار تشكل أنساقا إما مغلقة (المذاهب والإيديولوجيات)، أو مفتوحة (النظريات)، كما تتضمن نواة صلبة تتكون من معتقدات محاطة بالحجج والأدلة والتعليقات؛ يشبه المجال الفكري إلى حد بعيد عالم أشياء العقل لدى كارل بوبر. إن عالم الأفكار مأهول بكائنات متميزة لذا وجب محاولة فهم حياتها وعاداتها وسلوكاتها وتنظيمها.

تتولد الأفكار عن عقولنا فتتكاثر، وتكون مزودة بالقدرة على التغذية الذاتية في عقولنا، وقدرة إعادة التوالد الذاتي، بل وعلى قدرة الاضمحلال. تعيش الأفكار مع الإنسان في علاقة تكافل أو تشويش متبادل، أو استغلال متبادل؛ كما تتمتع الأفكار بالسيادة والتبعية في الوقت ذاته، وتندرج حياتها ضمن نظرية التنظيم البيئي للكائن الحي. إن المجال الفكري انبثاق من مجموع الأنشطة الأنثروبولوجية والاجتماعية، وبذلك فهو دراسة لأشياء العقل باعتبارها كائنات موضوعية، لكن هذا لا يستبعد النظر إليها من جهة

¹ E. Morin, *La Connaissance de la connaissance*, t. 3, Le Seuil, coll. « Points », Paris, 1986, Nouvelle édition, 1992.

العقول/الدمغة الإنسانية التي أنتجتها (أنثروبولوجيا المعرفة)، أو من جهة الشروط الثقافية التي أنتجتها (إيكولوجيا الأفكار).

يوجد مفهومان أساسيان يفسران بعض الخصائص الجوهرية للحياة عامة ولحياة الأفكار خاصة: أولاً، يبني الكائن الحي استقلاليته، إنه مُنتج ذاتي، يُولد ذاته باستمرار؛ يحتاج لهذا الغرض طاقة يستقيها من المحيط البيئي، وبذلك يجمع بين الاستقلالية والتبعية. وعلى المنوال نفسه، يبني الإنسان باعتباره كائناً اجتماعياً استقلاليته من خلال تبعيته للثقافة واللغة والأفكار والمعارف. حاصل القول إن استقلالية عالم الأفكار، بل والأفكار نفسها تتوقف على عقول الأفراد والثقافات التي تتوقف عليها هذه العقول. وعلى هذا النحو تشكل الدمغة الإنسانية والعقول الفردية النظام البيئي للأفكار.

يحوز كل نسق من الأفكار نواة صلبة، كما سلف الذكر، تتكون من أفكار أساسية، أي مسلمات أولية تقوم عليها النظرية، وتتمفصل حول هذه النواة أنساق عقلانية صغرى تعلّل وتبين النواة وتدافع عنها؛ وحول هذه الأنساق الصغرى يوجد جهاز مناعي يمثل صفة شبه حية لأنساق الأفكار. وعليه، يميل كل نسق من الأفكار إلى رفض وإبطال واستبعاد ونسيان الاعتراضات التي يواجهها لأنه يعتبرها أوهاماً.

إذا كان المجال الفكري يتكون من المذاهب أو النظريات، وكانت الأولى مغلقة والثانية مفتوحة، فإن الإنسان مطالب بتغيير تعامله مع أنواع هذه الأفكار كالأساطير والمعتقدات التي لا يستطيع العيش من دونها، إذ عليه أن يعي وضعها الراهن وأن يشكك فيها. باختصار شديد، إن مبدأ باسكال صالح للتعامل مع جميع معتقداتنا وأفكارنا خاصة إذا علمنا أن بعض الأفكار تدفعنا إلى الحياة أو الموت. يجب أن نعي أننا نراهن على أفكارنا لأننا في عالم مليء بعدم اليقين حيث يمكننا أن نحصل على نتائج مضادة لتلك التي نأمل فيها؛ ذلك أن نقص الوضوح قد يغلّطنا تماماً ويجعلنا نعتقد أننا نعمل من أجل خير الإنسانية في حين نفعل العكس. وعليه، يجب ألا نستسلم لتملك الأفكار لنا، بل علينا مراقبتها والتحقق منها، بل وتركها إن تطلب الأمر ذلك.

(5) إنسانية الإنسانية¹: يعتبر هذا الكتاب تلخيصاً للأجزاء السابقة عليه، حيث

¹ انظر ترجمتنا لهذا الجزء: إدغار موران، المنهج، الجزء 5، إنسانية الإنسانية: الهوية الإنسانية، ترجمة يوسف تيبس، دار إفريقيا الشرق، 2019.

يحاول إ. موران إبراز الهويات الثلاثة للإنسان: الاجتماعية والبيولوجية والذاتية. تشكلت الإنسانية من ثلاثة أصول: (1) الأصل الكوني، إذ يتكون الإنسان من لحم الكون نفسه، فجسدنا يتشكل من ذرات الكواكب والنجوم نفسها؛ (2) الأصل البيولوجي، إننا متجذرون في التنظيم الحي لكننا متطورون بشكل هائل لأننا أكثرنا من إمكانيات الحياة؛ (3) أصل مستقبلي يتجلى في المغامرة الإنسانية العظيمة (ملحمة الحياة) التي بدأت منذ ملايين السنين. رغم اشتراك الإنسانية في هذه الأصول إلا أنها تختلف في ما بينها، لذا يتساءل موران عما يوحدنا. للإجابة عن ذلك يستحضر موران كتابه *الإنسان والموت*¹ حيث يقر أن الناس يبدون البنية النفسية نفسها أمام الموت، غير أنهم يعبرون عن هذه البنية بواسطة عدد لانهائي من الأساطير والأديان والروحانيات. في هذا الكتاب ستبرز اللبنة الأولى لتصوره للإنسان باعتباره يتشكل من جميع الأبعاد (البيولوجية والأنثروبولوجية والاجتماعية والتاريخية...). يشترك الإنسان مع جميع الكائنات الحية في صفة الفناء، غير أن الموت والحياة لا ينفصلان، إذ تتغذى الحياة من الموت والعكس صحيح. ويتميز الإنسان عن غيره من الموجودات بوعيه بالموت لكنه يكتبه عن طريق استعمال الأساطير والمعتقدات من قبيل التناسخ والحياة الأخرية، مما يعني أن عقله يرفض طبيعته البيولوجية (الموت). وعليه، يحوز الفكر الإنساني طابعا متناقضا يكمن في كونه واقعا ومخيلا في الوقت نفسه. هكذا تكون هويتنا الأولى ثقافية بالأساس: "توجد في كل المجتمعات الموسيقى والغناء والشعر، وتوجد في كل المجتمعات العقلانية والدين والتقنية والسحر والطقوس والعبادات". إن الإنسان فردي واجتماعي وحيواني (ثالوث الفرد-المجتمع-النوع) تتخلله علاقات تنازع وتكامل وتنافس تعمل على بُنيّة الواقع الإنساني. إن عناصر هذا الثالوث ممتنعة الفصل أو العزل، لذا وجب التفكير فيها باعتبارها باراديغما (باراديغم التعقيد).

كما يتصف الإنسان بكونه عاقلا-أحمقا، وجماليا يفتن بجمال الأشياء والفن، ولعوبا يحب اللعب والترفيه، واقتصاديا ومسرّفا ومستهلكا وعاملا وشاعرا ... إنه إنسان معقد "Homo complexus". يعرض إ. موران مثال حالة تمزق الإنسان بين الحكمة والحمق والذي يتجلى في الدولة باعتبارها إخضاعا للأفراد، إذ ظهرت الأنظمة المستبدة

¹ E. Morin, *L'homme et la mort*, Corr  a, Paris 1951.

نتيجة استلاب الجماهير من قبل السياسة، لذا فإن الدولة تستمد شرعيتها من الأفراد المستلبين، وتصير مسؤولة عن أفطع المآسي في التاريخ (عصر الإنسان الأحق)، لكنها في المقابل سمحت بظهور الحضارة والفنون والعلوم. يخلص موران في هذا الكتاب إلى أن «مشكل الإنسانية حاليا ليس مشكل المعرفة فقط، بل مشكل مصيرها»، وهو قول يمهّد للجزء الموالي.

حاصل القول إن إدغار موران ينظر في هذا الجزء من موسوعة المنهج في مصير الهوية الإنسانية الذي يحدث في ظل ما يشهده العالم من تحولات ومسوخات متوحشة وقاتلة بفعل العولمة الحالية. لذا ينطلق من سؤال جوهرى في الفلسفة: ما هو الإنسان؟ باعتباره سؤالاً راهنيا وحاسماً. وليتم له ذلك يستعرض تاريخ الإنسانية منذ بزوغها حتى اليوم محاولاً الإجابة في كل مرحلة عن الأسئلة الفلسفية للرسام بول غوغان: من نحن؟ إن الإنسان عبارة عن "ثالوث" (فرد/مجتمع/نوع). إنه هولوغرام الكون الذي يجمع في ذاته بشكل متزامن ومتلازم العامل والعاقل والاقتصادي واللعب والهاذي والأحمق. إنه ذات، أي فرد متعدد وكثير وواحد وأناى وغيرى وكاره ومحب ومتوحش وشاعر ونائر، يتأرجح بين الإنسانية واللاإنسانية، واليقظة والسرنة.

من أين أتينا؟ إن تجدرنا مزدوج في العالم الفزائى وفي المجال الحى، إننا في الطبيعة وخارجها في الوقت نفسه. «إننا، نحن الأحياء، ومن ثم البشر، أبناء المياه والأرض والشمس، إننا بذرة، بل جنين شتات الكون وبعض من فتات الوجود الشمسى، إننا صيرورة تبرعم صغير للوجود الأرضى». إن الإنسان ناتج عن مغامرة الكون، إنه كائن عاقل-أحمق في جهازه العصبى، أى يحمل في ذاته العقلانية والهديان والهوبريس (الإسراف) والهدم معاً. لذا كانت مغامرته (الأنسنة) سيلاً صاحباً من الإبداعات والهدم ومن البذل الغربى للطاقة وخليط من العقلانية المنظمة ومن الضجيج والغضب الشديد، فنعت بكونه بربرياً وفظلياً وبشعاً ومهراً بعض الشىء.

إلى أين نسير؟ في زمن الهدم والفوضى والإتلاف والوحشية والحروب الناتجة عن المحرك الرباعى: علم/تكنولوجيا/صناعة/رأسمالية، تتعرض التوازنات الأساسية للكون والجنس البشرى لخطر الإبادة. لذا يحتاج الإنسان إلى إيجاد معنى للتاريخ الإنسانى يقوم على القيم الإنسانية الكونية. ومن ثم من الضرورى تعليم الإنسانية للبشرية.

(6) الأخلاق: يصل موران في هذا الجزء إلى "مبتغاه" حيث يضع المشكل الكوني والأساسي الذي وضعه سابقا من زوايا مختلفة. أعني مسألة الأخلاق، بعد دراسة أنثروبولوجية وتاريخية وفلسفية لقيم المجتمع المعاصر (خاصة الغربي) الذي يوجد في أزمة، سيحاول موران "إصلاح الفكر"، وبالتالي إنشاء علاقة بين المعرفة والواجب، والوعي الفكري والضمير الأخلاقي، والنوايا الحسنة والأفعال (السيئة)، والإرادة الأخلاقية والنتائج غير الأخلاقية. كل هذا من منظور "معقد" لأن الإنسان "فرد/مجتمع/نوع". تتفاقم باستمرار المشاكل التي تضعها الأخلاق بسبب العلاقات بين العلم والمعتقدات والتقاليد والعادات والتقاليد والطائفية وغريزة التجمع والعواطف والتمركز حول الذات والعرقية والسياسة والأخلاق ... يكمن هدف موران الأسى في الوصول إلى مجتمع عالمي وإنسانية كوكبية ووطن أم، أي أخلاق أنثروبولوجية قادرة على جمع ما تصر الاستهجمات والعواطف القومية والإثنية والدينية، تحت أكثر الذرائع تنوعا، على فصله وتفريقه وإغلاقه وإغراقه في فوضى اليقينيّات الأولى. "هل هذا العالم ممكن؟ إنه ممكن (Es muss sein?) ! muss sein)" إن «المعنى الذي أعطيه في نهاية المطاف للأخلاق، باعتباره مصطلحا يشمل جميع جوانبه الضرورية، هو مقاومة قسوة العالم والهمجية البشرية. تشمل مقاومة وحشية العالم مقاومة ما هو مدمر وما لا يرحم في الطبيعة؛ فمقاومة الهمجية البشرية هي مقاومة القسوة الهمجية للإنسان العاقل وللجانِب الأسود من الإنسان الأحمق. إن الإنسان العاقل هو الذي أباد النياندارثالي الذي عاش في أوروبا. إنه الإنسان العاقل نفسه الذي أباد الهنود الأمريكيين والسكان الأصليين لأستراليا؛ وخلق العبودية والسجون. وجدت الهمجية الإنسانية في التقنيات الحديثة وسيلة لزيادة الخراب المفرط، كما هو الحال في الحروب العرقية والدينية وحروب الأمم. يواصل المتحضرون عمليات الإبادة الجماعية والعرقية للشعوب القديمة (هنود الأمازون، تاراهوماراس في سيرا مادري في المكسيك وغيرهم)». «توجد الهمجية الإنسانية في قلب حضارتنا، في علاقات الهيمنة والاستغلال والإهانة والاحتقار. تختمر الهمجية في كل واحد منا: تبررنا الهمجية الداخلية الخاصة بنا ذاتيا باستمرار وتجعلنا نكذب على أنفسنا، إنها تدفعنا دائما إلى الثأر والانتقام؛ تتجلى الهمجية في جنون الغيرة بين العشاق الذي يصبح مميتا؛ وفي سوء الفهم بين الآباء والأطفال والإخوة والزملاء، وفي جرائم القتل النفسي التي نرتكبها دائما؛ والأكثر همجية هم أولئك الذين يفترض أن يكونوا مثال الذكاء: المثقفون الذين تضخمت فيهم الأنانية فتحول

إلى غرور ورغبة في المجد. تفشت الحرب على الذكاء بين المثقفين أنفسهم». «إن مقاومة الهمجية البشرية هي مقاومة الخبث المتفشي واللامبالاة والإرهاق». توجد «الهمجية فينا، إذ ما زالت عقولنا همجية (وهذه فكرة فرويد العظيمة، رغم أنها مذكورة بعبارة أخرى). تنبني حضارتنا على قاعدة من الوحشية... إن مواجهة قسوة العالم ومقاومة الهمجية الإنسانية هما وجهتا الأخلاق». يكمن مطلب موران الأول في أن لا يكون الإنسان قاسيا وألا يكون همجيا، لذا يدعوننا إلى التسامح والرفقة والوداعة والرحمة والحب.

7. في الجماليات: كتب إ. موران في الخمسينيات كتابا عن السينما¹ وآخر عن النجوم في مجال الفنون، أعيد طبعهما عدة مرات، وفي سنة 1961، شارك جون روش في إخراج فيلم يوميات صيفية² الذي عرض في مهرجان كان (Cannes) السينمائي الدولي ونال جائزة النقاد، وفي شأن علاقته المعرفية بالسينما يقول: «أنتهي إلى جيل علمته الكتب... والسينما أيضا»، إنها «وسيلة للدفاع لأنها أداة للمعرفة» وفضاء مفتوح على المشاهدة والتفاعل من قبل الجمهور الذي يبني علاقته مع ما تقدمه وفق مرجعيات ذهنية، وضمن مرتكزات يستمدّها من واقعه الاجتماعي، وضمن هذه العلاقة المتشابكة بين المنتج (الفيلم) وبين المتلقي، تفتح فضاءات الباحث الذي يريد أن يقرأ سرّ الافتتان بالضوء على الشاشة الكبيرة. ومن هذا المنطلق يتناول إ. موران الفيلم السينمائي لأنه يُبنى على أفكار الناس، فالأفلام الروائية أفلام واقعية تنقل العواطف الإنسانية مثل الحب والصداقة والكراهية والتضامن والصراع...، كما تخبرنا بالحياة اليومية المشتركة والمختلفة للشعوب لأنها تعيش المشاعر نفسها سواء كانت جميلة أو قبيحة، إنها تمثل التفرد والتنوع الإنساني.

أما في كتاب في الجماليات فيعرض إ. موران ما جمعه من ملاحظات عن الجمال والفن والشعور الجمالي بصفته عالم اجتماع وفيلسوف مهتما بالجماليات، والتي قدمها على شكل محاضرات مصورة³، فيخبرنا أنه منذ طفولته كيتيم كان يهرب من قسوة العالم بفضل الأعمال الرفيعة لجميع الفنون، كرواية الجريمة والعقاب، أو السمفونية التاسعة لبيتهوفن، أو أشعار بودلير لأن الأعمال الفنية العظيمة ليست مجرد تسلية، إنها

¹ E. Morin, *Le Cinéma ou l'homme imaginaire*, Paris, Éditions de Minuit, 1956 ; *Les Stars*, Le Seuil, Paris, 1957, (réédition, Paris, Le Seuil, 1972).

² E. Morin, *Chronique d'un été*, coréalisé avec Jean Rouch, 1961.

³ موطنة في موقع اليوتيوب (youtube).

تكشف لنا حقائقنا ومصيرنا وآمالنا، وتزودنا بفهم للوضع الإنساني بجميع حالاته المتضادة، من خلال الأفلام التراجيدية (المآسي) أو الكوميديّة (المسرات)¹. إن الفن خاص بالإنسان إذ احتاج منذ القدم إلى التعبير من خلال الفن، مما يعني أن هذا الأخير لم يكن تسلية أو ترفها، أما المشاهد أو المستمع أو القارئ فيجد في الفن العظيم تعقيد الهروب من الواقع المباشر حيث نجد واقع وضعنا بشغف ورحمة وتفاهم، إننا نهرب في الوقت نفسه من الواقع الذي يغزوننا. يعتبر موران الجماليات شعورا ينتج عن مشهد جميل سواء كان فنيا (جمال العمل الفني) أو طبيعيا (جمال منظر طبيعي). إن العاطفة الجمالية مرآة للعاطفة الإبداعية. يستدعي الفنان خلال إبداعه قوى اللاوعي (الإلهام) والوعي (التعديلات). كما تكون العاطفة الجمالية التي تتملك كل واحد منا أمام العمل الفني غير عقلانية وعقلانية في الوقت نفسه لأنها تُعمل الشعور والذكاء معا. لذلك يمكننا إذكاء الجماليات والشعر لنعيش الواقع بالكامل، مع الوعي بقسوته. وبما أن الجماليات منفصلة عن الدين والسحر، فإنها تخلق البهجة «شيء من الجمال هو فرح إلى الأبد»، تساعدنا معرفتنا الجمالية على انتقاد مباحج الوجود وعلى تحمل الفاضل الواقعي الذي لا يطاق؛ وتمنحنا العجائب التي نستخلصها منها الطاقة لمواجهة قسوة العالم.

أثناء مشاركتنا في الأعمال الفنية، نشعر بسرور مباشر، بالطبع، بل تبعث فينا هذه الأعمال الوعي الجمالي الذي يغذي حكمنا وقراراتنا اليومية. يرى إدغار موران الشغوف بالشعر أن معنى الحياة يوجد في المشاركة، إنه شعور يمكن للمرء أن يعيشه مع الغير أو أمام منظر طبيعي أو حتى أمام عمل فني.

يتأسف إدغار موران قائلا: «لم يعد الجميل كما كان عليه»، فقد تجاوزت الأصالة الجميل، وأدى اكتشاف رسم الأشياء القبيحة بطريقة جميلة إلى إدراك أن الجمال يوجد في العمل الفني وليس في الواقع. يشاركنا الجميل أولا في الديمومة، لأنه يدهشنا، يوقف الزمان، ويحدث فيه فتقا، على وجه التحديد. يمجّد إ. موران فكرة الالتزام التي عاشها كمتفرج وكمبدع، فيذكر "حالة نصف التملك" التي عاشها خلال كتابة المنهج، لذا يعتبر الفنان "شامان (chaman)" حديثا أو ما بعد شامان. يقول في ذلك: «أعتقد أن ما أطلق عليه في القرن العشرين "الالتزام" الكتاب والفنانين يتوافق مع الوعي بالمهمة التي تأخذ

¹ E. Morin, *Sur l'esthétique*, Robert Laffont, Paris, 2016.

بعدا ما بعد شاماني (postchaman) وما بعد النبوة». تندرج الجماليات حسب موران في مستوى الشعور والإحساس الذي «عندما يزودنا بالسعادة والتعجب» يغرقنا في "الحالة الثانية" أو حالة النشوة، أي الحالة "الشعرية". ينقل إلينا الفنان الشامان نشوته أكثر مما ينقل فكرة "الجمال".

إن الأدب والسينما مادتان للبحث ولتمثّل الأفكار، لذا يدعو في محاضراته "سبعة ثقوب تعليمية سوداء"¹، إلى الربط بين ضرورة إعادة تربية الإنسان على فهم الغير، وعدم تأطيره وحصره في الصفات التي تلغي حياته ومنظومة السينما مؤكدا على دورها في فهم الشرط الإنساني فيقول: «هناك من الناس من يرى أن ما يحدث في قاعة العرض السينمائي استلاب، حيث يتم تخدير المتفرّج وفصله عن الواقع وإفقاده جزءا كبيرا من استقلاليتته. ربما يكون هذا صحيحا، لكن يوجد مظهر آخر يكتسي أهمية بالغة، ألا وهو التقمص، فمن خلال تقمص شخوص الفيلم، نرّبي فينا الانفتاح على الغير والانتباه إليه كما هو، وبالتالي نفهم حتى أنفسنا».

لا تصدّق هذه الملاحظة على الشخوص الطيبة أو المحبوبة فقط، بل تصدّق حتى على الشخوص التي تجسّد القوة والبأس والقهر. فإذا تدكّرنا، مثلا، فيلم العرّاب لفرانسيس فورد كوبولا، وانتبهنا إلى رب الأسرة أو ربّ الجماعة، الذي أدى دوره الممثلين مارلون براندو وآل باتشينو، نجد أنه يقدر على ارتكاب أفعال بالغة القسوة والبأس وعلى القتل ببرودة أعصاب تامة، ونكتشف في الوقت نفسه أنه يقدر على الحبّ والوفاء والإخلاص أيضا، وأنه يتألم ويبكي كباقي البشر؛ فنفهمه في شموليته وكليّته.

يحدث الشيء نفسه عندما نشاهد تشارلي تشابلن في دور المتشرّد المتسكّع، إذ نتعاطف معه تعاطفا لا يصدّق؛ وبمجرد ما نخرج من قاعة السينما ونصادف متشرّدا، نبدي نفورا منه ولا نبالي به! إننا ننفض إلى أعماق هذه الشخوص ونفهمها بفضل التقمص. والشيء نفسه يصدّق على الشخوص الروائية أو المسرحية.

يدل ما سلف على مفارقة نعيشها في الفن والأدب، أي نتعاطف مع الشخوص ونفهمها، في حين ننفر منها في الواقع اليومي لحياتنا.

¹ E. Morin, 2005, « Les sept trous noirs de l'enseignement » traduit par Chen Lichuan, *Science and Technology in China*, août, p. 8-12.

أخيرا، «ينقلت شعر الحياة باعتباره ازدهارا وتشاركا وسعادة من الترفيه. إنه لا ينقذنا من الموت، لكن يمثل بمعينة الحب الذي يدمجه ويتكامل معه الحل الحقيقي الوحيد للموت». «لا معنى للحياة، لكن الشعر يعطي معنى لحياتنا». وعليه، تتجلى فائدة الجمال في كونه الترياق الرائع للخوف والرعب والقلق والموت. لذا يعرض موران شروط بلوغ هذه الحالة التي تمثل علاجا لحياتنا القاسية، ويلمح إلى ضرورة التربية على الجماليات حتى لا تعاني الفنون الجديدة مستقبلا ما عانت منه السينما والمسلسلات في بداياتها من احتقار وازدراء. إن الجماليات عنصر مهم في الثقافة وفي حياة الإنسان، فإذا كان كل شيء خاضع حاليا للتخصص، فإن الرواية هي المرصد الوحيد لرؤية العالم، يقول في هذا الصدد إميليان نويل (Émilien Noël): «تصبح الرواية مجموعة شاملة تقريبا لحالة العالم في لحظة معينة، أو بعبارة أصح لحالة عالم ما، في هذه الحالة العالم الغربي وخاصة أوروبا. في هذا السياق، تكون الرواية عمل خيالي، وبالطبع، تمرين أسلوب لا جدال فيه، ولكن يمكن أن تكون أيضا سردا تاريخيا ومقالا فلسفيا وتحليلا جيوسياسيا وبحثا في علم الاجتماع ... كل ما يجعل العالم قابلا لأن يظهر فيها. يتم الحديث فيها عن علم النفس والطب والدين والاقتصاد والعمران والعمارة» ويضيف: «وبالتالي، تمثل هذه الأعمال ذروة معينة للرواية»¹. وما يصدق على الرواية يصدق على غيرها من الأعمال الفنية العظيمة.

خاتمة

حاول آيت عبد المالك علي في مقاله² تلخيص المقاصد العامة لفكر إ. موران كالآتي:

- (1) توفير ثقافة تسمح بالتمييز والعولمة والوضع في السياق ومعالجة المشكلات الأساسية،
- (2) إعداد العقول، من ناحية، لمواجهة التحديات التي يضعها التعقيد المتزايد للمشاكل على المعرفة الإنسانية، ومن ناحية أخرى، لمواجهة أوجه عدم اليقين،
- (3) التربية على التفاهم بين المواطنين والجماعات،

¹ المقال متاح على المدونة: "ستالكر (Stalker)".

² Aït Abdelmalek Ali, « Edgar Morin, sociologue et théoricien de la complexité : des cultures nationales à la civilisation européenne », Sociétés 2004/4 (n° 86), pp. 40.

4) تعليم الانتماء إلى الدولة القومية وتاريخها وثقافتها، والانتماء إلى أوروبا و"المواطنة الأرضية".

يشمل طموح إدغار موران السياسة، إذ يهدف إلى توفير الوسائل «لمواجهة التحديات الاجتماعية والحد من التدهور الديمقراطي الذي ينشأ في جميع مجالات السياسة عن توسيع سلطة الخبراء والمتخصصين من جميع الأنواع، مما يقلص تدريجياً من كفاءة المواطنين».

لا نجد أجمل من العبارة التالية نختم بها هذا القول المختصر حول فكر إدغار موران لأنها تجمع بين فكره وتنبئه وآماله: «تكمُن ذروة الشعر، وكذا ذروة اتحاد الحكمة والجنون وذروة الربط، في الحب».

الببليوغرافيا:

- موران إدغار، المنهج، الجزء الثالث والرابع، معرفة المعرفة، الأفكار، ترجمة يوسف تيبس، دار إفريقيا الشرق، 2013.
- موران إدغار، المنهج، الجزء الخامس، إنسانية الإنسانية: الهوية الإنسانية، ترجمة يوسف تيبس، دار إفريقيا الشرق، 2019.
- موران إدغار، المنهج، الجزء السادس، الأخلاق، ترجمة يوسف تيبس، دار إفريقيا الشرق، 2021.
- موران إدغار، في الجماليات، ترجمة يوسف تيبس، وزارة الثقافة والرياضة، دولة قطر، 2019.
- Aït Abdelmalek, A., Edgar Morin sociologue et théoricien de la complexité: des cultures nationales à la civilisation européenne, in *Sociétés* 86/2004, 99 – 117.
- Dortier, J.F., Une pensée hors norme, in *Sciences Humaines, Edgar Morin : L'aventure d'une pensée*, Hors-série n°18 /2013, édition Sciences Humaines, Paris, pp. 6-13.
- Morin, E., *Les Sept Savoirs nécessaires à l'éducation du futur*, Seuil, Paris, 1999.
- Morin, E., Complexité restreinte, complexité générale, in J.-L. Le Moigne et E. Morin, *Intelligence de la complexité, Épistémologie et Pragmatique*, La Tour d'Aigues, L'Aube, 2007.
- Morin, E., *Les sept trous noirs de l'enseignement*, traduit par Chen Lichuan, in *Science and Technologie in China*, août 2005, 8-12.
- Morin, E. et Rouch, J., *Chronique d'un été*, 1961.

- Morin, E., *Journal d'un livre*, Inter Éditions, Paris, 1981.
- Morin, E., *La Méthode 3, La Connaissance de la connaissance*, Seuil, Paris, 1986 et Points, coll. Points. Essais, Paris, 1992.
- Morin, E., *La Nature de la Nature (Volume 1)*, Seuil, Paris, 1977 et Points. Essais, n° 123, 1980.
- Morin, E., *La Tête bien faite. Repenser la réforme. Réformer la pensée*, Seuil, Paris, 1999.
- Morin, E., *La Vie de la Vie (Volume 2)*, Seuil, Paris, 1980 et Points. Essais, n° 175, 1985.
- Morin, E., *Le Cinéma ou l'homme imaginaire*, Éditions de Minuit, Paris, 1956.
- Morin, E., *Le paradigme perdu : la nature humaine*, Seuil, Paris, 1973.
- Morin, E., *Les Idées, leur habitat, leur vie, leur mœurs, leur organisation, (Volume 4)*, Seuil, Paris, 1991, nouvelle édition, coll. Points. Essais, 1995.
- Morin, E., *Les Stars*, Seuil, Paris, 1957. (Réédition, Paris, Le Seuil, 1972).
- Morin, E., *L'homme et la mort*, Corrèa, Paris, 1951.
- Morin, E., *Relier les connaissances*, Seuil, Paris, 1999.
- Morin, E., *Science avec conscience*, Seuil, Paris, 1982.
- Morin, E., *Sur l'esthétique*, Robert Laffont, Paris, 2016.
- Morin, E., *Introduction à la pensée complexe*, Seuil, Paris, 1990.
- Morin, E., *L'Éthique (Volume 6)*, Points, collection Points. Essais, n° 555, 2014.
- Yousfi L., De la nature comme système, in *Sciences Humaines*, Edgar Morin : L'aventure d'une pensée, Hors-série n°18/2013, édition Sciences Humaines, Paris, pp. 30-31.
- Yousfi, L., La vie : entre ordre et chaos, in *Sciences Humaines*, Edgar Morin : L'aventure d'une pensée, Hors-série n°18 /2013, édition Sciences Humaines, Paris, pp. 32-33.

RIVAGES

Revue scientifique à comité de lecture

N° 7-2022

Revue semestrielle, scientifique à comité de lecture, éditée par la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Cadi Ayyad – Marrakech - Maroc

Directeur

Doyen de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines
Abderrahim BENALI

Coordination générale

Jamal RACHAK

Comité Scientifique

GRAVARI BARBAS Maria, IREST, Université Paris 1 Panthéon-Sorbonne, France, **ELLOUMI Mohamed**, INRAT, Tunisie, **LAOUINA Abdellah**, CERGeo, Université Mohamed V Rabat, **DEBARBIEUX Bernard**, Université de Genève, Suisse, **NAVARRO PALAZON Julio**, Escuela de Estudios Arabes des Granada, CSIC, Espagne, **SKOUNTI Ahmed**, Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, **GIRAUT Frédéric**, Département de Géographie, Université de Genève, Suisse, **HERNANDEZ ARMENTEROS Salvador**, Universidad de Granada, Espagne, **BOUBRIK Rahal**, Département de Sociologie, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Mohamed V de Rabat, **TOZY Mohamed**, UMRVIP et Sciences po, Aix en Provence, France, **PULVAR Olivier**, Université Antilles-Guyane, Centre de Recherche sur les Pouvoirs Locaux dans la Caraïbe – CNRS UMR 8053, **HILLALI Mimoun**, Institut Supérieur International de Tourisme, Tanger, Maroc, **PERALDI Michel**, directeur de recherche au CNRS et Centre Jacques Berque pour le développement des Sciences Sociales à Rabat (Maroc), **BOUMAZA Nadir**, Université Pierre MENDES France- Grenoble 2, **LANDEL Pierre – Antoine**, CERMOSEM, UJF, Mirabel – France, **PECQUEUR Bernard**, Institut de Géographie Alpine, PACTE (UMR CNRS 5194 – Université J. Fourier, Grenoble – France).

Comité de Rédaction :

Abderrahim BENALI - Jamal RACHAK
Mohamed MOUHOU - Said BOUJROUF.

Adresse

Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, B.P. 3737
Amerchich – Marrakech 40000 Maroc
Site web. <http://www.flm.uca.ma.ac> - Email : revueflm@gmail.com
Tél. 00212524302742 - Fax 00212524302039

Dépôt Légal : 2018PE0010

ISSN : 2605-6410

Le tableau en couverture est de l'artiste peintre Mahi Binebine.

Les contenus des textes publiés dans la revue n'engagent que leurs auteurs.



MARRAKECH

جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines

Revue des Sciences Humaines

RIVAGES

Revue scientifique à comité de lecture



N° 7 - 2022